انهم نالوا شرف الآخرة لما افادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على اقتدايهم في طلب العلم ان
كانوا ممن فيه قابلية ذلك فينتفعوا انيما وقعوا فيه من انهماكهم لا ويوديهم ذلك الى محبتهم وموالاتهم
واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم ثم تخرج بهم استحسان حالهم الى الرياء
الدنيء وهو مسارعة لطبايعهم الدنية واخلاقهم الرديه فان نفوس العامة قابلة لذلك ومتهياة
له بمنزلة الصبي الذي يترسخ فيه اخلاق ابايه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك ينبطل في حقهم
ما هو مقصود ببعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة
وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان والاسلام وبشرة الحذر من ارتكاب
المناهي والآثام ثم يودي ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم المكر السيء والعياذ بالله
ويكون وبال الجميع ذلك على حملة العلم لتيسر اسباب ذلك على ايديه ولقد صدق ابن المبارك
رضي الله عنه حيث يقول وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع اثمانها لقد رتع القوم في جيفة
يبين لذي العقل انتانها وروي عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيض
فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد اضاء اضاءة هذه الحصاة ثم اخذ كفا من تراب
فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجي اقوام يدفنون الدين هكذا
كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل قلت ومنشا وجود هذه المفاسد خراب سرائرهم وظلمة قلوبهم بسبب
فقد اليقين منها وانكشاف انوار الايمان فيها وافلاسهم من حقايق ذلك وعدم احتظاظهم
بشيء منه فصاروا بذلك ماسورين لاهوايهم منقادين لاغراضهم وآرايهم فمقصد ذلك
نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة
وترتب عليها آثار صالحه وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق يوذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة كانت
الاعمال ايضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسده وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة
وزيادة همه تقتضي البعد من الله وحصول المقت منه وطلب العلم على [illegible] الاعمال مقتضي للصحة
والاعتلال وليت شعري هولا الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم والاكثار واتعبوا
انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم الجمع والسهر وسمت نفوسهم
بفوات ملاذها وانقطعت جميع مالوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين او باعث
الهوى ولا شك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب
البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعلموا على تخليصهم من النكايق

الواجبة عليهم

الواجبة

عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة فان ادعوا انهم على احوال لا يجب عليهم
فيها [illegible] يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم يخدعون ومن اين لهم ذلك والعلم به لا يحصل
ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور منهم
باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا اليها بمكنهم الوصول اليه من
شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من
اوقاتهم عن مزاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة
التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت
باللهو واللعب او ارتكاب معصية ونحو ذلك البطالة التي تكون فيها استراحة
لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذا الحال قد يتفق باعث الدين من امثال
هولا واما الحالة التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الدين الا الدنيا المحمودة
المجاورة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الانتساع في الدنيا والحصول
على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب
الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يوملة
كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على تيسير الرمق
والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هولا الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في
خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من انتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم
مع ذلك الى ارفع الدرجات في عشايرهم لو لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا
على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم
وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرنا خفاء علمه عليهم
وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عندما ينجلي
عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير من
الخلق ووعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سابق وقتهم الى ما
لوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك خذلان الله تعالى بالمشية والقضاء
واستيثاره بالخذلان والنصرة فاذا اراد الله تعالى ان يخذل عبدا من عباده لم
يعقل ولا ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتتحقق عزة رب الحقايق
العظمة والجلال والعزة والكمال الغني عن الاسباب على ما ذكرناه اولا
الابصار وليسلم الحكام الواحد القهار [illegible] الى الحق
[illegible] الى رضوان

Copyright © King Saud University